إقامة الدين، وتحكيم الشرع

محاور البحث:

واقع الأمة العام.

من أين نبدأ؟

إصلاح الإنسان والدولة .

ماذا يعني تحيكم الشريعة؟

كيفية تحكيم الشريعة؟



04 ربيع الثاني 1435 هـ ـ04 / 02 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

واقع الأمة العام

بدأ عصرنا الحديث بسقوط الخلافة على يد الصليبيين ومكر اليهود، ودخلنا مرحلة "الملك الجبري، والطواغيت".. وكانت ملامح هذا العصر القائمة حتى الآن، والتي تشتد يوماً بعد يوم هي:

1- انهيار النظام السياسي "الخلافة" للمسلمين، وانهيار الوحدة السياسية الجامعة لهم.

2- الانسلاخ من رابطة الولاء على الإسلام، وأصبحت روابط قومية عرقية.

3- نبذ التحاكم إلى شرع الله، واستبداله بالقوانين الغربية الوضعية العلمانية.

4- تفتيت بلدان المسلمين بعد أن كانت دولتهم تحكم الأرض كلها عدا أوروبا الغربية.. أصبحت دويلات رخوة هشة، لا تملك سلاحها، ولا غذاءها، ولا قوتها، وعارية من القوة الحقيقية أمام العدو العقدي الأول.

5- سرقة ثروات المسلمين، وجعلهم في حالة دائمة من الفقر والفاقة، والاحتياج الدائم للنظام الدولي المهيمن على كل بلادنا.

6- ولاء الحكام والحكومات والأنظمة إلى اليهود والصليبيين، وإعاناتهم على المسلمين، وتمكينهم من بلاد المسلمين.. تمكنيهم من كل شيء حتى مناهج تعليم أطفال الروضة مروراً بسياسيات الحكومات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفكرية والإعلامية.

7- وأد أي حركة أو تيار إسلامي يدعو بدعوة الرسل، وقتل أولياء الله.. والفتك بهم ومحاربتهم بكل وسيلة، في وحشية لم يسبق لها مثيل.

8- كشف عورات المسلمين، وإشاعة الفاحشة، والانحلال، والإباحية، والفساد.. والتجسس على المسلمين لصالح العدو الصهيوصليبي.

9- تفريغ بلاد المسلمين من كل الطاقات الفكرية والعلمية والتخصصية.. وتفريغ طاقات الشباب الهائلة في عبث من كل نوع، حتى لا تقوم لهم قائمة.

10- تكوين ولاءات وتكتلات عالمية للحرب على الإسلام والمسلمين، بطريقة ممنهجة دقيقة صارمة متتابعة استباقية، حتى نظل تحت التبعية والهيمنة والخضوع للنظام الدولي بقيادة اليهود والصليبيين.

والنظام السياسي: عسكري أو ملكي، ديمقراطي أو استبدادي فجميعهم علماني، يحمي هوية الدولة العلمانية القومية.

النظام الاقتصادي: احتكاري ربوي، تتحكم فيه حفنة من الجنرالات العسكرية مع رجال الأعمال مع الشركات متعددة الجنسيات وتستحوذ على جميع الثروات والموارد! على حسب الأمة والشعوب.

النظام الاجتماعي: مضطرب الهوية، ومختلط الثقافة، ويقوم على طبقية صارمة، ولا يوجد وحدة اجتماعية على عقيدة نقية، فرابطة الاجتماع قومية.

❊ ❊ ❊

من أين نبدأ؟

بداية الانحراف:

* عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَتُنْقَضُ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً ، كُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا مِنْهُنَّ ، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ "** . [أخرجه أحمد/ 21582]

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"الإِسْلامُ وَالسُّلْطَانُ أَخَوَانِ تَوْأَمٌ ، لا يَصْلُحُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلا بِصَاحِبِهِ ، فَالإِسْلامُ أُسٌّ وَالسُّلْطَانِ حَارِسٌ ، وَمَا لا أُسَّ لَهُ مُنْهَدِمٌ ، وَمَا لا حَارِسَ لَهُ ضَائِعٌ "**. [حديث مرفوع - فضيلة العادلين من الولاة لأبي نعيم - أبو نعيم الأصبهاني/36]

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: **"... وَإِذَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كَانَتِ الدَّوْلَةُ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ ، وَجُعِلَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ"** [التاسع من فوائد البختري، 123]

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"... وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"** [رواه ابن ماجه/4017]

في هذه الأحاديث نجد جملة من التصورات عن كيف بدأ الانحراف:

- ينقض الحكم بالمنهج الإسلامي.
- يفقد الإسلام القوة والسلطان المادي.
- يتحاكم الناس بغير ما أنزل الله، فيقع البأس والعذاب بينهم، وتضيع دولة الإسلام، وتذهب - في النهاية - للمشركين.

مكمن الخطورة:

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ "** [مسند الإمام أحمد/ 26834]

* قَالَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ : **"كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟، قَالَ: نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ**

هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟، قَالَ: نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا ، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ ، قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ " [صحيح البخاري/ 6584]

* عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنَّ فِي جَهَنَّمِ رَحًى تَطْحَنُ عُلَمَاءَ السُّوءِ طَحْنًا**" [تاريخ دمشق لابن عساكر/ 37190]

في هذه الأحاديث نجد جملة من التصورات عن مكمن الخطورة، فبعد أن ضاعت قوة الإسلام وسلطانه ودولته والتحاكم إلى شريعته، يأتي دور العلماء لرد الناس إلى دينهم رداً جميلاً، وبينما الناس في أشد احتياج للعلماء الربانيين.. فإذا بهم يجدوا "علماء السوء":

- أئمة مضلون.. يضلونهم عن طريق العودة إلى الإسلام وقوته وسلطانه، سواء أكان هؤلاء الأئمة من العلماء أو الأمراء.

- ولشدة خطورتهم، يحذر النبي .صلى الله عليه وسلم. منهم أشد التحذير.

- وعلماء السوء هؤلاء دعاة على أبواب جهنم ! من أجابهم إليها؛ قذفوه فيها.. وهنا يتبين أن استجابة الناس لعلماء السوء، له تبعاته على من يستجيب لهم من الناس.. فمن استجاب لهؤلاء العلماء الفسدة قذفوه في جنهم، فاستجابة الناس للسوء، تدل على قابلية قلوبهم للباطل.. وإقبال قلوبهم على السوء والفحش!

- ومصير الدعاة من علماء السوء رحى في جهنم تطحنهم طحناً، فالجزاء من جنس العمل.. فكما طحنوا دين الناس في الدنيا وهدموه، طحنهم الله في جهنم.

***

□

مكمن الهلاك:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: "**إِنَّ هَلَاكَ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ سُفَهَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ**" [صحيح البخاري/ 3359 ، مسند أحمد/7672]

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يُهْلِكُ النَّاسَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا، قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ**" [صحيح البخاري/3358]

* عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال، قَالَ : **دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ** " [السنن الكبرى – البيهقي / 101]

* عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "**هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الْكِتَابِ وَاللَّبَنِ**"، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْكِتَابُ وَاللَّبَنُ ؟ قَالَ: " يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدَعُونَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمَعَ وَيَبْدُونَ**" [مسند الإمام أحمد/ 17084]

* عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْكِتَابَ وَاللَّبَنَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَالُ الْكِتَابِ ؟ قَالَ : " يَتَعَلَّمُهُ الْمُنَافِقُونَ ثُمَّ يُجَادِلُونَ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا، فَقِيلَ: وَمَا بَالُ اللَّبَنِ ؟ قَالَ: " أُنَاسٌ يُحِبُّونَ اللَّبَنَ ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَيَتْرُكُونَ الْجُمُعَاتِ**" [مسند الإمام أحمد/ 16983]

* عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** " [سنن أبي داود/ 3747]

وبعد أن بدأ الانحراف وفقد الإسلام قوته وسلطانه والتحاكم إلى شريعته.. وجاء علماء السوء يضلون الناس عن كيفية معالجة الانحراف، ويمضون بهم إلى الهلاك! فبدأت مرحلة الهلاك كما جاء في الأحاديث:

- حكم الغلمان والسفاء، واغتصاب شورى المسلمين، وتوريث الحكم.. فكانت بداية الهلاك. وسُميت هذه المرحلة "الملك العضوض" وجاء التوجيه النبوي بين (اعتزال هؤلاء الحكام – وبين نصحهم باللسان – وبين الخروج عليهم ومقاومة ظلهم) لأن هذه الفترة كانت بين الخلافة الراشدة والحكم

الجبري، فكانت فيها من ملامح الخلافة الراشدة، وفيها من الظلم وفعل الطواغيت، ومن كان بين بين. ولكن كانت الملامح العامة لفترة الملك العضوض هي: الشريعة حاكمة عموماً – الخلافة قائمة – أعلام الجهاد في سبيل الله دائمة. وأما المنابذة بالسيف على الطواغيت، فهي عند ظهور الكفر البواح في نبذ التحاكم إلى شرع الله، وعلو أحكام غير أحكام الله.. كما هي حالة "الملك الجبري والطواغيت" (راجع – إن شئت – الحاكم المتغلب)

- وجاء الهلاك الثاني بعد حكم الغلمان، ضاع الكتاب الهادي "القرآن الكريم" في قوم يتأولونه على غير ما أنزل الله، ويجادل به المنافقون الذين آمنوا. ويتلاعبون بالآيات وبالتفسير، وبإنزال الآيات في غير مواضعها؛ ويحرفوا الكلِم عن مواضعه! ليضلوا به الناس فيكون في ذلك هلاك للأمة.

- والهلاك الثالث في الانشغال بمتاع الحياة الدنيا، عن إقامة الدين، ومواجهة المنافقين، ورد سلطان الإسلام ودولته، ورد شورى المسلمين المغتصبة.

نقطة البداية:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"** [صحيح مسلم/212]

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: **"إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"** [سنن أبي داود/ 3006]

* عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ، قال رسول الله ﷺ: **" أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "** [أخرجه أحمد / 16814]

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَقَالَ: **" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ "** [السنن الكبرى للبيهقي/ 18713]

* عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "...**أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ»** [المعجم الطبراني الكبير/16629 ، حلية الأولياء/6889]

* عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **" أَلَا وَإِنَّ رَحَى الْإِيمَانِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ يَدُورُ "** [المطالب العالية لابن حجر /4491]

وبعد أن وقع الانحراف في الحكم، وفي ضياع قوة الإسلام وسلطانه المادي، وجاء علماء السوء يضلون الأمة عن صراط الله المستقيم، وضاع الكتاب بالتأويل الفاسد، وانشغال الناس بمتاع الحياة الدنيا وزينتها! وبدأ الهلاك بضياع الرشد في الحكم، وانتهى بظهور دولة المشركين على المسلمين.. كما هو حال المسلمين اليوم، جاء طريق العودة كالتالي:

- إن الإسلام بدأ غريباً على أفهام الناس وواقعها.. فالإسلام جاء ورابطة الولاء للقبيلة! وقطعة الأرض وحدود النفس، وتعبد أشياء وأساطير وأوهام، فإذا بالإسلام يفتحها على الوجود الكبير بمجاليه المادي والروحي، وينقلها من السفح إلى القمة في رفق وقوة ، فإذا هي في وقت قليل جداً – بالنسبة لعمر البشرية – تحكم الأرض، ويسطع نور الإسلام على كل البشرية. بعد أن كانت لا ترى إلا حدود نفسها والقبيلة! فكان غريباً على أفهام الناس أيما غرابة! وهو عائد – إن شاء الله – وبينما الناس لا يشغل بالها إلا لقمة العيش المغموسة في الذل والمهانة، ولا يعنيها ما يحدث خارج حدود مرسومة على ورقة! أو خارج حدود ذاتها! وبينما تُستذل وتستباح من جميع الأرذال!، سيأتي الإسلام – مرة ثانية – لينقلها من السفح إلى القمة في رفق وقوة، وسيخرجها للعالمين – كما أخرجها أول مرة – لتعود ليسطع نورها على البشرية الضالة من جديد. وتحكم أرض الله بمنهج الله ابتغاء مرضاة الله. وتجاهد من أجل ذلك فيرفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها الذل، ويهدي بها البشرية الحائرة التائهة.

- وإن الطريق إلى تلك العودة هو طريق النبي ﷺ ونهج خلفائه الراشدين، ويا لها من وصية وهو يقول ﷺ عضوا عليها بالنواجذ – الأسنان، أي ليس فقط اليد والقلب والعقل.. بل والأسنان! لأنه طريق النجاة الوحيد، وكل ما دونه هلاك وسراب وتيه وعبث. [راجع – إن شئت – دعوة الرسل]

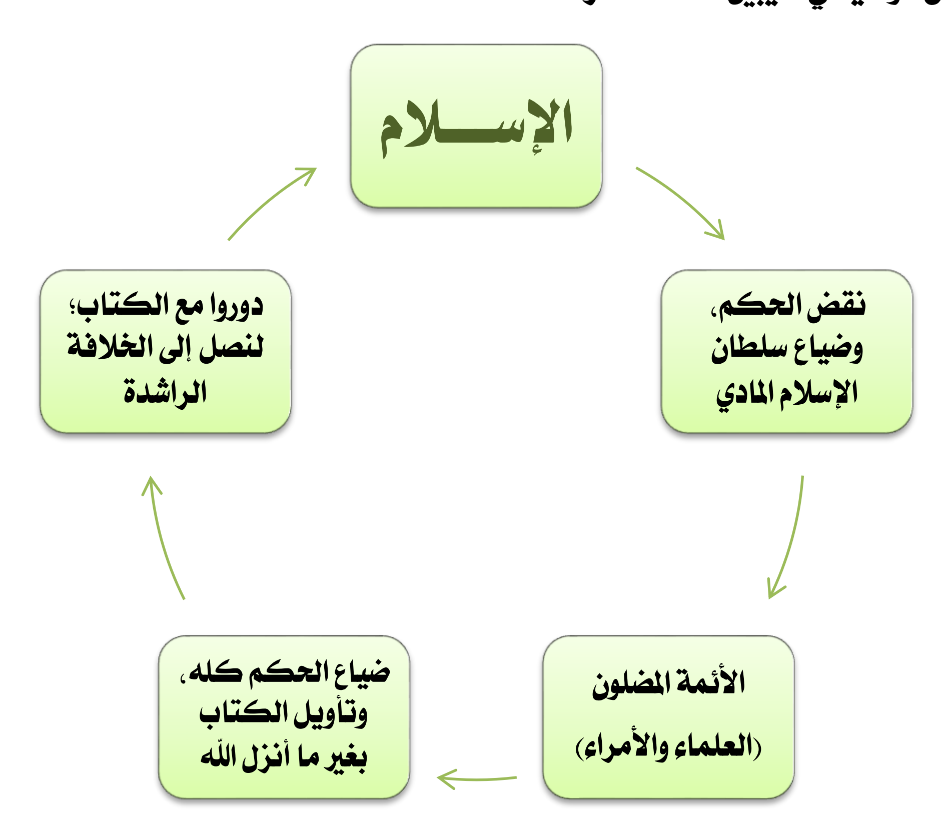
- وإن طريق العودة إلى سُنة النبي ﷺ ونهج خلفائه الراشدين، هو أن "ندور مع الكتاب حيث دار" ندور مع الكتاب.. لا مع الهوى، لا مع السلطان، لا مع القوة، لا مع الواقع، لا مع المتاع، لا مع المصلحة، لا مع الجاهلية.. **"دُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ"**.

ومن جملة هذه الأحاديث يتبين لنا أن إعادة بناء الإسلام.. بعد أن نقضت عراه بمرحلة الملك العضوض، والملك الجبري والطواغيت، ستبدأ – إن شاء الله – من "الحكم" أي سياسة الحكم، وسياسة المال. والمنهج فيهما هو منهج الخلفاء الراشدين، وإن منهج الإسلام، والمنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدين في الحكم والمال، كان قائماً على تحقيق الحق والعدل الرباني، فكان في الحكم: قائماً على شورى المسلمين. وفي المال: المساواة في توزيع الثروة، ولا فضل لأحد على أحد. إضافة إلى المبادئ العامة في النظام السياسي والاقتصادي في الإسلام. (راجع – إن شئت – الشورى وآلياتها ومعالم الدولة المسلمة)

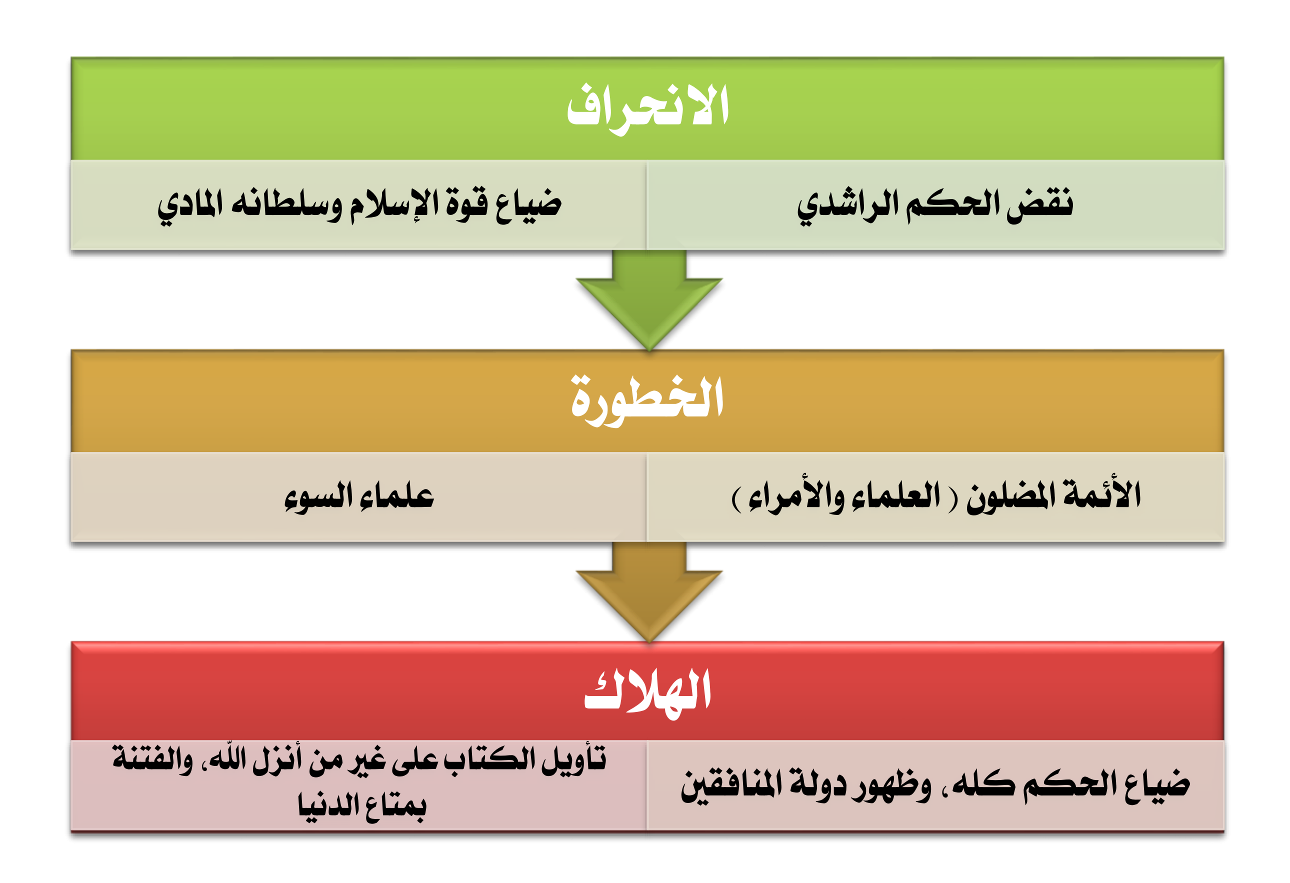
لذا فإن إعادة حكم الإسلام بعد أن نُقضت عراه تكون من هذا الطريق (دوروا مع الكتاب حيث دار) وأن كيفية إقامة الدين ستكون على منهج (الخلفاء الراشدين).

❊ ❊ ❊

شكل توضيحي 1 يبين خط الانحراف:



شكل توضيحي 2 يبين خط الانحراف:



مسار العودة:

- دوروا مع الكتاب حيث دار
- تأويل الكتاب على ما أنزل الله.
- نبذ علماء السوء والسلطان
- التحرر من متاع الدنيا
- عوة الفكر الراشدي
- خروج الأمة المجاهدة
- استرداد سلطان الإسلام المادي
- استرداد الحكم بالمنهج الراشدي

إصلاح الإنسان والدولة.. كيف؟

وإذا كانت الشريعة قضية عقيدة، فهي منهج حياة يعالج الحياة الواقعية المتغيرة حسب الزمان والمكان والظروف والملابسات. وهي ذات ثوابت لا تتغير بتغير الزمان والمكان. ومن أهم هذه الثوابت:

- ✓ الشريعة قضية عقيدة، من ينبذها ويتحاكم لغيرها، أو يأخذ بعضها ويترك بعضها فقد كفر، وخرج من ملة الإسلام.. ونقصد هنا نظام الدولة وطريقة الحكم وهويته، وليس انحراف بعض المسلمين عن الحكم بما أنزل الله لظلم أو هوى.
- ✓ الاستسلام لشرع الله بالجملة وعلى الغيب.
- ✓ رفع راية الشريعة من أول لحظة يمضي فيها المسلمون لإعلاء كلمة الله.
- ✓ استرداد هوية الدولة الإسلامية، وتطهرها من الهوية العلمانية.

قضية معالجة الحياة الواقعية

من يقول هيا بنا نطبق الحدود الآن؟ هيا بنا نمنع الربا الآن؟ هيا بنا ننسف تجارة الناس القائمة على بعض المحرمات؟... إلخ. كل أولئك لا يفهمون منهج الإسلام، وطبيعته الشاملة، هؤلاء المتعجلون يُسيئون إلى الإسلام والشريعة من حيث لا يشعرون؟

ومن يقول لا شريعة من دون تمكين؟ لن أطبق الشريعة الآن حتى أعالج المشكلات الواقعية؟ لن أحكم الشريعة حتى يفهمها ويقبلها كل الناس؟ لن تعلو الشريعة حتى توافق عليها الأغلبية البرلمانية؟!!... إلخ. كل أولئك لا يفهمون عقيدة الإسلام، وتصوره الإسلامي المتفرّد، وهؤلاء الجاهلون لا يعرفون العقيدة، ويُضيعون الشريعة من حيث لا يشعرون؟

يبدأ إقامة الدين وتحكيم الشريعة باستسلام المسلم لشرع الله، بعد أن أقر وآمن أن لا شرع إلا شرعه، ولا حكمه إلا حكمه، ولا منهج إلا منهج نبيه ﷺ، وبعد أن اجتمع الناس على الشرع، وانعقد عليه الولاء، يكون المسلمون قد أخذوا الخطوة الأولى في إقامة دين الله وإعلاء كلمته.. وكلمة الله هي الحق والعدل الرباني الشامل لكل شيء.

ثم ينظرون في واقعهم، فإذا هو شبكة معقدة جداً من الفساد والأمراض والجاهلية الضاربة في كل شيء، في الفكر والتصور، والسلوك ونمط الحياة، والنظم والمنهاج، والتشريعات والقوانين... إلخ.

فعلى سبيل المثال: يوجد بمصر جهاز "بيروقراطي" مترهل قادر بقوة على سحق أي إصلاح، ويُعطل أي حركة، وإنه ليوجد بهذا الجهاز أكثر من سبعين ألف لائحة! غير آلاف القرارات الإدارية الداخلية، لا تربطها وحدة، ولا هدف. وملايين من الموظفين هم مشكلة بحد ذاتهم! فلا هم يتقاضون رواتب لا تكفي لشبه حياة! ولا هم يؤدون عملهم بكافئة! ولا هم يرتقون في مهاراتهم! ولقد وضع الاستعمار الصليبي من قديم منظومة إدارية مهمتها الأولى قطع الطريق على المبدعين والمفكرين.. وتمثل هذه المنظومة بتخلفها عامل طرد لهم من أوطانهم حتى يكونوا ثروة بشرية – لا تقدر بثمن – لبلاد الاستعمار! لذا فنحن نسجل أعلى معدل لهجرة العقول المبدعة والمتميزة. ولو بقيت هذه العقول في بلادنا ما استطعت أن تفعل شيء! فماكينة التفريغ والاستنزاف البيروقراطية تعمل بكفاءة عالية لسحق كل الطاقات!!

كل هذا غير الهيمنة والتبعية للنظام الدولي؛ الذي يخطط لتفتيت دويلاتنا المقسمة أصلاً! ليفسد كل شيء، ويسيطر على كل شيء في بلادنا!

فماذا نفعل؟

نبدأ في الفهم الدقيق أولاً لطبيعة وأثر وعمق ومدى كل مشكلة على حدا. وأثر وعمق المشكلات والأمراض على المستوى العام.. حتى ولو استغرق هذا الفهم سنوات من الأبحاث والدراسات، فسنكون – إن شاء الله – في حكم من يقيم شرع الله، وكلمته.. حتى ولو أثناء سنوات الفهم هذه، لم نُقم حكماً واحداً من حكم الله.. كيف؟!

لأننا في البداية والأصل رفعنا لله رايته، وقصدنا صراطه المستقيم.. ومضينا على هذا الطريق، فإذا في الطريق ركام أجيال، ومخلفات جاهلية، وروث الفكر البشري الوضعي من النظم والأفكار، وميراث هائل من الجاهلية.. فاقتضت الحاجة لفهمه بدقة بالغة، وتقييمه بصورة علمية، ودراسة مستوى الأخطار، وتشابك المشكلات، وإدراك النقاط الحرجة في كل مشكلة، ولضخامة المشكلات وكثرتها سيستغرق هذا الأمر وقتاً – يطول أو يقصر – للفهم والمعالجة. لكنه فهم باسم الله، دراسة باسم الله، بحث باسم الله، ابتغاء مرضاة الله.. إعلاء لكلمته، وتحكيماً لشرعه، وإقامة لدينه.

إذن فهي عقيدة من أجل الله سبحانه، وليس صراعاً سياسياً بين أحزاب. عقيدة حريصة على كل الناس، وعلى نجاتهم في الآخرة بتوحيد الله في حكمه وشرعه، كتوحيده في عبادته ونسكه. عقيدة تطلب إعلاء راية الله، لا راية الحزب السياسي. عقيدة تطلب الخير لكل الناس في كل الأوقات، وليس وقت حكم الحزب السياسي. عقيدة تريد للإنسان جنة عرضها السموات والأرض، وسعادة في الدنيا، وليس حزب سياسي يعد الناس ببعض لقيمات في ساعة من نهار هي كل الحياة الدنيا. عقيدة بمواقف تدور مع كتاب الله حيث دار، وتساوي بين الناس، لا حزب سياسي يدور مع مصلحته حيث دارت، وتفضل بعض الناس على بعض.

ثم بعد الفهم، تأتي الحلول التي لا تظلم أحداً، ولا تبغي على أحد، وتفكك منظومة الجاهلية، دون حدوث انهيار أو كوارث على عامة الناس، ونجد هذا المنهج الرباني في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾[البقرة: 279]

وفي الطريق، تتكشف الغيوم، وينقشع الغبار، وتنجلي الأفهام، وتتنزل النعم، والبركات، وما كنا نحسبه يستغرق سنوات أو عصيب.. فإذا هو يسير، سهل، تتفتح له قلوب الناس، وتستجيب له العقول والضمائر. طالما تطهرت القلوب لرضى الله.. بمنهج الله لا بأهواء البشر، وأخلصت نفوسها لإقامة الحق والعدل الرباني؛ فقط ابتغاء مرضاة الله.

* * *

الإسلام – دعوة كل الرسل – رسالة نجاة، وموضوعه (الإنسان) وهو يقدم للإنسان رسالة النجاة في الآخرة، ورسالة السعادة في الدنيا، فهو معنيٍ بالحياة.. حياة الدنيا والآخرة، ولا انفصال بينهما، فإذا الإسلام يريد له العزة والكرامة والبركة في سويعات الدنيا القليلة، فهو يريد له كذلك ما هو خير وأبقى.. الآخرة بجنة عرضها السموات والأرض.

ولن يدخل الجنة من التبس إيمانه بشِرك: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾[النساء: 48] سواء أكان هذا الشرك في الاعتقاد والتصور، أو في العبادة والنسك والشعائر، أو في الحكم والتشريع.

ولذا فإن إقامة الدين، وتحكيم الشرع ليس معنياً فقط بالتشريعات والقوانين كما يظن البعض خطئاً، بل معنياً بكل ما يخص الإنسان معنوياً ومادياً، ومعنياً كذلك بهوية الدولة ونظم حكمها.. وعلاقتها بالعالم، ومعنياً بحمل الأمة لرسالة الله الأخيرة للعالمين، ومعنياً بالفكر والثقافة والآدب والفن.. وكل مناحي الحياة.

ولذا فإن إقامة الدين بعد واقع جاهلية، سيعالج – ولا شك – التصورات الخاطئة، والباطلة، حتى يتحقق هدف رسالة الإسلام الأسمى وهو نجاة الإنسان في الآخرة.

بيان مظاهر الشرك في الاعتقاد والتصور، ورد الأمر كله لله.

عبثت العلمانية بتصورات المسلمين عن الإنسان والكون والحياة، وقدّمت ذلك في صورة "علمية أكاديمية" يدرسها أبناء المسلمين في المدارس والجامعات على أنها علوم قطعية، وأبحاث لا علاقة للدين بها! وتمرر إليهم تصورات العلمانية الجاهلية بدرجات مقبولة، بعضها يكون مستتراً، وبعضها يكون صريحاً فجاً.

هذا بالإضافة إلى السيطرة الإعلامية على العقول من خلال الأفلام والسينما والمسرح والأدب والفن والثقافة.. حتى نجد في النهاية إنسان يعيش بتصور ومنهج علماني، وباعتقاد عن الإسلام كطقوس وترانيم!

وإقامة الدين يعني تطهير عقول المسلمين من تلك التصورات العلمانية، وتقديم التصور الإسلامي الصحيح عن الله، والكون، والحياة، والإنسان. لا في صورة علوم أكاديمية في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية فحسب، بل كذلك في صورة إعلامية من خلال الأدب والفن والثقافة.. تحل محل "الاحتلال الإعلامي العلماني" لعقول المسلمين.

بيان مظاهر الشرك في العبادة والنسك، ورد الأمر كله لله

مع الهزيمة النفسية للمسلمين، واحتكاكهم بأصحاب الديانات الجاهلية.. تسرّبت بعض البدع والشبهات، ومنها التوجه لقبور الصالحين بالدعاء باسمهم، والاستعانة بهم، وطلب المدد منهم.. وكل ذلك من صور البدع والشرك. وانتشرت تلك الأفكار المنحرفة بصورة كبيرة، حتى صار لها هيئات وأدعياء وصناديق وأموال! وكل هذا جاهلية يرفضها المنهج الإسلامي، ويترفّع بالمسلم أن ينحدر إلى هذا الدرك.

وإقامة الدين، وتحكيم الشرع: تعني بيان مظاهر الشرك والجاهلية الحاصلة، ورد الناس إلى دينهم رداً جميلاً؛ وقطع الطريق على الكهان والدجالين والعابثين بعقائد الناس وضمائرهم.

بيان مظاهر الشرك في الحكم والتشريع، ورد الأمر كله لله

ومع انهيار الخلافة، وسقوط النظام السياسي للمسلمين، بدأت حرب غير مسبوقة على الشريعة، وإن الحرب على الشريعة بدأت منذ أن رفض المنافقون في المدينة أن يتحاكموا إلى رسول الله ﷺ، وآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾ [النساء : 61] ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ. أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور:49، 50]

وهذا الحرب مستمرة لا تنقطع، وامتلأت عقول المسلمين بشبهات شتى، ومفاهيم خاطئة.

وإن إقامة الدين، وتحكيم الشرع تعني: دفع الشبهات عن الشريعة، وتصحيح معتقد المسلم حولها، وبيان معنها وحقيقتها، حتى لا يقع المسلم في الشرك، ويلتبس به.

وإن إقامة الدين، وتحكيم الشرع ليس عملاً فردياً كالصلاة، بل هو نظام دولة، ورابطة اجتماع وولاء. وحتى تأخذ الدولة والمجتمع معنى إعلاء كلمة الله.. فإن الصورة الوحيدة لذلك هو أن تعلو أحكام الله فوق الجميع الحكام والمحكوم.. الفرد والمؤسسات.

فشرع الله هو حق الله على العبيد، وهو يَعلو ولا يُعلى عليه، وهو فوق الحاكم والمحكوم، وفوق الاستفتاء والدستور والقانون، ومنه تستمد كل التصورات والمفاهيم، والتشريعات والقوانين، والحكم ونظام الحياة.

فلا انفصال بين بناء الإنسان، وبناء الدولة.. فكلاهما يبني الآخر.

إن المنهج الإسلامي بطبيعته: الربانية، الشاملة، المتوازنة، الإيجابية، الواقعية، المثالية.. يعالج الإنسان والواقع بصورة شاملة كاملة، ويعمل ككل بنظامه التشريعي، والقضائي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي والتربوي والثقافي والخلقي.. بلا انفصال بينهم ليصل بالإنسان إلى الصورة المكرمة التي يريدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، وبها تتحقق نجاته في الآخرة، وسعادته في الدنيا.

* * *

ماذا يعني تحيكم الشريعة ؟

الشريعة: ''هي كل ما شرّعه الله لتنظيم الحياة البشرية. ويتمثل في الاعتقاد والتصور. بكل مقومات هذا التصور. تصور حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، غيبه وشهوده، وحقيقة الحياة، غيبها وشهودها، وحقيقة الإنسان، والارتباطات بين هذه الحقائق كلها، وتعامل الإنسان معها، ويتمثل في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والأصول التي تقوم عليها، لتتمثل فيها العبودية الكاملة لله وحده. ويتمثل في التشريعات القانونية، التي تنظم هذه الأوضاع. وهو ما يطلق عليه اسم "الشريعة" غالبًا بمعناها الضيق الذي لا يمثل حقيقة مدلولها في التصور الإسلامي.

ويتمثل في قواعد الأخلاق والسلوك، في القيم والموازين التي تسود المجتمع، ويقوم بها الأشخاص والأشياء والأحداث في الحياة الاجتماعية. ثم.. يتمثل في "المعرفة" بكل جوانبها، وفي هذا كله لا بد من التلقي عن الله سبحانه''. [نحو مجتمع إسلامي. سيد قطب]

ماذا يعني تحيكم الشريعة ؟

1- يعني أن المسلم يحقق معنى شهادة "لا إله إلا الله"، ويؤدي حق الله على العبيد، وأصل أصول التوحيد.

2- يعني أن كل مسلم يتساوى مع غيره في كل الحقوق، فلا فضل لأحد على أحد.. ولا قوم على قوم، ولا طبقة على طبقة، ولا جنس على جنس، ولا أرض على أرض، ولا دماء على دماء، ولا عشيرة على عشيرة.. كل الناس سواء، وكذلك كل حقوق غير المسلمين مكفولة، ومصونة كما أرادها الله تعالى.

3- يعني أن كل مسلم يتساوى في الكرامة، والإنسانية، والحياة الكريمة مع غيره. فلا طبقات تتعالى وتتكبر على غيرها بأي صورة، وبأي شكل.

4- يعني أن ثروات البلاد ومواردها تُوزع بالتساوي بين جميع أفرادها.. إما في صورة خدمات متكاملة، وإما في صورة حق مادي مباشر ومُحدد.

5- يعني أن المسلم شريك في ثروة بلاده، وله حق المأكل والمشرب والمسكن...إلخ، حقوق أصيلة وليست هبه ولا منة من أحد. فالتكافل الاجتماعي قاعدة شرعية أصيلة من جانب الدولة، ومن جانب المجتمع.

6- يعني تحقيق العدالة الاجتماعية وهي عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك، والضمائر والوجدانات. والقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها. وليست القيم المادية على وجه العموم، إنما هي ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعاً.

7- يعني حق الملكية الفردية الذي يأتي بجهد الإنسان في الحياة من خلال عمله وجهده الحقيقي والمباح، وليس من طرق يُحرمها الإسلام كالربا، والسرقة، والاحتكار، والفساد، والمقامرة، والاحتيال.. إلخ، وكل مال تم جمعه من غير الطرق الشرعية فهو يرجع إلى بيت مال المسلمين.

8- يعني القضاء على الفساد والطغيان في كل صوره، وأشكاله.. ومعاقبة صاحبه كائناً من كان.

9- يعني أن البلاد تتحرر من الهيمنة العالمية على دوران رأس المال، ومن السيطرة على الثروات، ومن بقاء المال في يد حفنة قليلة تتحكم في مصير ملايين البشر، ويعني التحرر من التعامل بالربا، وبالاحتكار، وبالكنز...إلخ.

10- يعني تحقيق كافة احتياجات الإنسان المشروعة بكل كرامة، وعزة.. تُحقق إنسانيته: فهو إنسان حر، كريم، لا فرق بينه وبين غيره إلا بالتقوى. تُحقق وجوده: توفر فرص العمل والحياة الكريمة لكل إنسان، وتُطلق طاقاته ليعمل ويُبدع. تُحقق رُقيه: في صورة الخدمات العامة من (تعليم – صحة – مواصلات – بيئة نظيفة –... إلخ) حقوق كاملة تؤديها الدولة، وتُحاسب على التقصير في أي جزء منها، خدمات وحقوق وليست تجارة بالإنسان، وليست شعارات، وليست "شكل خدمة" ومُسمى فارغ المضمون. تحقق احتياجاته: بتوفير الحد الأدنى من الاحتياجات المادية لكل إنسان القادر وغير القادر، وترعى بشكل خاص (الطفل واليتيم والمطلقة والأرملة وكبار السن) بل لكل رضيع في الإسلام راتب وكسوة وطعام. وفي نفس الوقت – وحتى يتحقق تنوع الحياة ورقيها – تُوفر البيئة الآمنة والعادلة والمنافسة الشريفة في التجارة والاستثمار والربح النظيف.

11- يعني القضاء على كل فرعون، ومحاربة كل طاغوت.

12- يعني أن البلاد لا تخضع لإرادة مُحتل، أو مستعمر، أو عدو.. ولا يُهيمن عليها - بأي صورة من الصور - أي دولة مُستعمِرة مهما كانت، كما أن سلطة البلاد والأمة لا تُوالي أعداء الإسلام، ولا تتأمر على المسلمين.

13- يعني أن البلاد لها السيادة الكاملة، والإرادة الحرة، والتصرف الكامل على أرضها.. فهي تتحرر من كل أشكال وصور الخضوع، والاستعمار، والاستغلال من غيرها.

14- يعني الحاكم مثل المحكوم لا فرق بينهم، لكل منهم حقوق، وعليه واجبات.

15- يعني أن الحاكم مُوظف يعمل عند الأمة، ويتقاضى أجراً نظير خدمته.. ويأتي باختيار الأمة ومشورتها، ومن حقها عزله، ومراقبته، ومحاكمته.

16-يعني أن الحاكم ورجاله يعملون على راحة الأمة، وأهل الحل والعقد يراقبون الحاكم ويعاونونه، والأمة تراقب الجميع وتحاسبهم من خلال من يُمثلونها تمثيلاً حقيقياً وعادلاً.

17- يعني أن لا يستبد أحد بالسلطة أو بالثروة.. فلا فرعون، ولا قارون.

18- يعني إقامة الحق والعدل الرباني لكل إنسان، والتقاضي أمام قضاء عادل لا يُفرق بين أحد، ولا يخضع لسلطان أحد سوى سلطان الله، ولا يتحاكم إلى شرع سوى شرع الله.

19- يعني تحرر الإنسان من العبودية لغيره من البشر، حينما يُشرّعون بأهوائهم نظام الحياة، وقيمها، وموازينها.

20- يعني تحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله.. تذله، وتستعبده، وتقهره، وتسرقه، وتظلمه، وتُضيع عليه سعادة الدنيا والآخرة.

21- يعني أن الدولة مُلزمة أن تكون ذات مكانة عالمية، وتُعد كل قوة، وتحقق كل نهضة ورقي، وتتخذ كل ما يلزم لتحقق ريادتها.

22- يعني أن الدولة والأمة مُلزمة بحمل رسالة الله إلى العالمين، ودعوة الناس إلى صراط الله المستقيم.

23- يعني الحكمة، والعدل، والربانية، والإيجابية، والواقعية، والمثالية، والشمول، والتوازن، والرحمة، والخير، والفلاح، والبركة، والنماء، والرشد، والاطمئنان، والسعادة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة.

❋ ❋ ❋

كيفية تحكيم الشريعة؟

تحكيم الشريعة ليس هو تغيير نص في الدستور من كلمة "مبادئ الشريعة" إلى "أحكام الشريعة".

تحيكم الشريعة ليس مجرد راية سياسية يرفعها حزب أو جماعة لاستمالة قلوب الناس لحزبه أو جماعته.

تحكيم الشريعة ليس هو ملاحقة الناس لإقامة الحدود عليهم بصورة عشوائية.

إن قيام الشريعة في حياتنا يعني أول ما **يعني** تحقيق عبوديتنا لله عز وجل، وتحقيق معنى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في حياتنا. وبدونها لا تتحقق تلك العبودية لله.. إذن فهي "راية التوحيد" وليست "راية سياسية لحزب" أو أي مسمى آخر!

ثم **يعني** بعد ذلك -لا قبله- قيام حضارة ربانية بدلاً عن تلك التي انهارت من قبل.

يعني أننا سنعود نحمل راية الإسلام من جديد لكل العالم.

يعني أننا سنضع حلولاً جذرية حقيقية لكل مشكلاتنا وتخلفنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والعسكري والدولي.

يعني أننا سنتحرر من الخضوع للقوى الاستعمارية الكبرى.

يعني أننا سنقدم نموذجًا جديدًا للبشرية المنكودة الآن، التي لطالما انتظرت هذا النموذج، بعدما أفلست الحضارة الغربية القائمة الآن في مجال القيم والأخلاق.

لقد كانت- ومازالت - الحرب شرسة لا هوادة فيها على قيام هذه الشريعة، ولما قامت الحروب الصليبية ثم تبعها الاستعمار الغاشم لكل بلادنا الإسلامية، كان يعرف أن هذه الشريعة ونظام الحياة القائم عليها، يمثل أكبر عقبة أو هو العقبة الوحيدة في طريق بسط سيطرته وفكره وفلسفته وحضارته وإنتاجه على بلادنا، فظلت هذه الحرب قائمة حتى هذه اللحظة، لأنها نقطة البداية لقيام الإسلام من جديد، ولقيام حضارة ربانية أخرى، غير الحضارة الغربية ذات القطب الواحد والنموذج الأوحد للعالم.

ودخل الاستعمار علينا من كل باب يحول بيننا وبين قيام شرع الله ودينه من جديد:

- في الغزو العسكري والاحتلال المباشر.
- في سرقة ثروات الأمة، ونقلها لحساباتهم في الخارج.
- في الغزو الفكري، ونشر أفكار تناقض الشريعة وتصورها عن الإنسان والكون والحياة باسم العلم.
- في الاستبداد السياسي الذي يحكم بلادنا الإسلامية، ويفكك ويدمر البنية النفسية والأخلاقية والاجتماعية لدى شعوبنا.
- في احتكار السلع الاستراتيجية، ومنع بلادنا من الاكتفاء الذاتي.
- في احتكار التسلح العسكري، ومنع بلادنا من إنتاجه إلا ما يبيعنا إياه.. حتى يصدأ لنشتري من جديد!.
- في احتكار العلوم، ومنع قيام قاعدة علمية حقيقية تمثل نهضة لبلادنا التي تتسول كل شيء.
- في الغزو الإعلامي الذي يدخل كل بيت من كل طريق، ليفرض نمط الحياة واستهلاك كل ما تنتجه الحضارة الغربية من سلع وفكر وخبل.
- في شراء الذمم، والأقلام والعقول.. ليخرج من بني جلدتنا ويتكلم بلساننا من يقول قولهم، وينفذ فعلهم.

... ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [البقرة: 217]

كما تهاون الكثير من الدعاة والمشايخ في الوقوف أمام هذه الفتنة والتصدي لقضية الشريعة على أنها قضية عقيدة أصل ومعنى وطريق حياة.. فهانت في حِس الناس كذلك.

وصارت دعوتهم . في كثير من الأحيان . خطبة في المناسبات، أو عظة تبكي العيون، أو فتوى في دماء الحيض، ولا يهتز لهم قلب وإن كانت دماء المسلمين تجري أنهارًا في جوارهم.. باختصار موظف قطاع عام، وانتشرت الفضائيات والبرامج والقنوات الدينية فصار موظف قطاع خاص.

هؤلاء العلماء والمشايخ والدعاة كان منوطًا بهم أن تكون الشريعة قضيتهم الرئيسة بل قضيتهم الوحيدة.. لأنها الأصل الذي يقوم عليه كل الفروع، كان منوطًا بهم أن تكون هذه دعوتهم في كل مناسبة وكلمة وموقف وطريق.. هذه نقطة بدء لا يمكن بدء أي طريق من دونها ثم بعد ذلك - لا قبله - شرع الله بداية الانطلاق والتحرر من الاستبداد والظلم والطغيان، وهيمنة القوى الاستعمارية علينا، شرع الله بداية التحرر من التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري... إلخ.

هذه هي القضية الرئيسة.. بل القضية الوحيدة، وما من مُصاب أصاب هذه الأمة في تاريخها وحاضرها إلا بسبب التقصير في قضية الشريعة.

* * *

الفقه الإسلامي والشريعة

"يجب أن نفرق بين نهرين عظيمين في الفقه الإسلامي ! نهر العبادات ونهر المعاملات. وإن يكن هنالك ارتباط وثيق في طبيعة العقيدة الإسلامية بينهما جميعًا. فالفقه الخاص بالعبادات أكثر ثباتًا واستقرارًا، لأنه يتعلق بشعائر تعبدية لا تتأثر بتوالي العصور والأجيال، وأما الفقه الخاص بالمعاملات، فهو أكثر تطورًا، لأنه أشد تأثرًا بالحاجات البشرية المتجددة التي لا تستقر على وضع معين، بحكم تشابك العلاقات، وتغير الأحوال، وبروز أوضاع وعلاقات اجتماعية جديدة لم تكن من قبل في الحساب.

لقد استمر نمو الفقه الإسلامي وتطوره إلى نحو القرن الثامن الهجري، وكان نموه وتطوره متابعًا لنمو المجتمع الإسلامي وتطوره كذلك. وملبيًا لحاجاته المتجددة حسب بروز تلك الحاجات؛ لأن الشريعة الإسلامية كانت هي التي تحكم المجتمع وتصرفه في معظم شئونه.

وأقول في معظم شئونه - لا في جميعها - لأن سياسة الحكم وسياسة المال قد انحرفت قليلاً أو كثيرًا عن مبادئ الإسلام وأصول الشريعة، منذ بدأ الملك العضوض على يد معاوية، وانقضت أيام الخلافة الرشيدة.

ومهما تكن هذه الانحرافات جزئية في نشأتها، فقد أخذت تعظم شيئا فشيئًا، وأخذ ظل الشريعة السمحة يتقلص شيئًا فشيئًا كذلك عن نواح من نشاط المجتمعات الإسلامية، وشيئًا فشيئًا كان نمو الفقه الإسلامي يتقلص كذلك عن هذه النواحي، بينما يستمر هذا النمو ويزداد في النواحي الطليقة التي تركت الحكومات المنحرفة للناس والفقهاء أن يتحدثوا فيها...

ومن هنا نشأ ذلك التضخم في فقه العبادات في تلك العصور وذلك الانكماش في فقه النظم الاجتماعية، لأن مجال العبادات كان هو المجال المأمون الذي لا تؤذي فيه الثرثرة؛ بل ربما تفيد لأنها تشغل أذهان الرعية بالجدل الفقهي عن مناقشة الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في تلك العصور !" [نحو مجتمع إسلامي - سيد قطب]

لقد كانت وظيفة الفقه الإسلامي هو توضيح كيفية تحكيم الشريعة الإسلامية، وفق ظروف العصر ومستجداته.

ولقد توقف الفقه الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري، وصار الناس من بعده يستخدمونه ويستهلكونه وينشئون مذاهب وجامعات وحملة الدرجات العلمية فيه، وهو ما كان إلا وسيلة لتحقيق غاية إقامة الشريعة ومبادئها وأحكامها في العصر الذي كان فيه هذا الفقه.

وصار العالِم والشيخ والداعية هو من يحفظ ويعلم هذا الفقه فحسب! وما هذه بوظيفة الشيخ والداعية والعالِم إن وظيفته الحالية قضية واحدة لا تتزحزح ولا يوجد قضية أخرى تحل محلها أو تشاركها اهتمامها، وهي إعادة مكانة الشريعة في العقيدة الإسلامية، وإنها **"راية التوحيد"**.

فإذا اكتمل في حِس الناس تلك الدعوة، وصارت مطلبًا عامًا أدرك الناس حقيقته وقيمته وأهميته.. فقد اكتملت (**الخطوة الأولى**) وهذه هي الرسالة التي يجب أن يحملها كل مسلم، وهي الدعوة إلى رفع "راية التوحيد" بإقامة شرع الله في الأرض.

ثم تأتي (الخطوة الثانية): وهو الفقه الجديد الذي يتناسب مع ظروف العصر ومستجداته، والذي يُوضح كيف تقوم هذه الشريعة الربانية.

وهذا الفقه ليس هو فقط ما يطلبه المشايخ والعلماء في كتب الفقه الموجودة في المكتبة الإسلامية، هي مفيدة ولا شك.. ولكن ظروف عصرنا فرضت علومًا أخرى جديدة، لو قُدر للفقه الإسلامي ألا يتوقف عند القرن الثامن لوجدنا إبداعات فيها.. ولكن للأسف توقف الفقه، وصار العلم في بلادنا حفظ الحواشي والمختصرات وأقوال العلماء، والتكاثر بالكتب وحمل الدرجات والشهادات.

وهذا الفقه الجديد الذي أقصده، هو جوانب العلوم التي قصرنا فيها، ولا مجال لفقه الحياة بدونها.. وهي شاملة علوم كثيرة لا تندرج تحت الفقه الحالي بل تندرج تحت العلوم "الإنسانية" و"الواقعية".. تلك العلوم

التي نفتح عقولنا للغرب ليضع لنا فيها روثه الفكري، وليُغيّب عنا رؤية الواقع والحياة سواء من خلال التجارب والأحداث أو من خلال المفاهيم والتصورات.

إننا لا نرفض العلوم الغربية جملة، ولكن نرفض الأصل الذي تقوم عليه، ونرفض كذلك نوعية ما يُصدر إلينا من بقايا علومه الرديئة؛ التي لا تفيدنا بشيء.. بينما هو يحتفظ بالعلوم الحقيقية وأسرارها.

لقد جدّت علوم كثيرة لإدراك الحياة وفهم الواقع، فلم يعد تلك الصورة السهلة البسيطة للمجتمعات والحياة، بل تشابكت الحياة وصارت مستجدات وتطورات يَصعب معها على الإنسان أن يُدرك الواقع بمجرد النظر إليه.. ولا سبيل لأي فقه من دون إدراك الواقع والحياة، وبالتالي أدخلت هذه العلوم نفسها على الفقه الإسلامي لأنه سيظل الوسيلة التي ستُقام بها الشريعة الإسلامية.

ومن هذه العلوم:

- **علوم الوحي:** وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- **علوم مقاصد الشريعة:** وهي العلوم التي عنت بمقاصد الشريعة وغايتها وأهدافها ومبادئها وأحكامها.
- **علوم الخلافة الراشدة:** وهي التي توضح سياسة الحكم والمال في فترة الخلافة الراشدة حيث سُنتهم منهج وطريق، وما هي السمات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية لتلك الفترة، وكيف تعود من جديد؟
- **علوم المذاهب الفقهية:** وهي العلوم التي تتناول المذاهب الفقهية وكيف نشأت وظروف نشأتها السياسية والاجتماعية والحضارية؟ وهي علوم يتناولها الفقيه للفهم والدراسة وليس للتقليد الأعمى.
- **علوم الصياغة:** وهي التي تُقرب مفاهيم ومقاصد الشريعة بطريقة يسهل فهمها لدى كل مسلم، وهي التي تشرح كيف تُصاغ الأحكام والمبادئ والأهداف والغايات لشرع الله إلى قوانين يُعمل بها في مجالات الحياة المختلفة وفي المحاكم.
- **العلوم السياسية:** العلوم السياسية بكل أنواعها، نعم العلوم السياسية.. السياسة التي صارت كلمة مُحرمة على طالب العلم الشرعي! ما له والسياسة إن وظيفته أن يحفظ الحواشي والمختصرات، ويُفحم الطرف المخالف في قضية فقهية اختلف فيها علماء القرن السادس أو السابع. ولعل العجب هنا يزول

عندما تجد قامة كبيرة في العلم، يتكلم في أمور الحياة السياسية ببلاهة البلهاء، وعبث الصبيان.. لأنه ببساطة جاهل فيها. ولكن المصيبة الكبرى أن يكون خلفه تيار كبير من الأتباع يعتبرونه قامة في كل شيء، رغم أنه محدود العلم، ومحدود الإدراك لا لعيب في نشاطه أو ذكائه.. ولكن لأنه يرى الأمر حفظ كتب السابقين وإلقائها على مسامع الحاضرين.

وعموماً العلوم السياسية: هي التي تُوضح التركيب السياسي لكل دولة من دولنا، ومن الدول الاستعمارية.. وتوضح كيف تُدار الأمور؟ وكيف يحكم الرؤساء العالم الآن، وكيف يحكمون ويتحكمون في شعوبهم؟ وتركيبة القوى الدولية. كيف تتحكم "الشركات الحاكمة Corporatocracy" في اقتصاد وسياسيات العالم؟ كيف ينشأ الاستبداد؟ مما تتكون النظم السياسية في العالم؟ كيف تتحقق الفاعلية والإيجابية للأمة في مشاركتها السياسية، وقيامها بإدارة شؤونها؟... إلخ.

- ✓ **علوم الحرب**: وهي التي توضح طبيعة الحروب المعاصرة، وأنواع هذه الحروب. وما هي أدوات تلك الحرب؟ وما هو الاختلاف فيها عن الحروب التقليدية؟ وما هي أسلحة هذه حرب وجنودها؟ وكيف تعمل وكيف تؤثر في الدول المستهدفة؟ كيفية الاستعداد والتصدي لها؟

- ✓ **علوم القوة**: وهي التي توضح القوة بأنواعها وأذرعها ومداها وأثرها على الأرض، وفي علم السياسة: السياسة تتعامل مع القوة على الأرض وليس مع الحق والعدل والمنطق. ومعرفة مكامن القوة، وأثرها، وكيف تتغير من واقع لآخر، ومن دولة لأخرى، وكيفية التعامل معها حسب الواقع والظروف المحيطة، تمهد الطريق لمحاولة تكييف القوة والسياسة لخدمة واقع الشريعة، وكيفية قيامه.

- ✓ **علوم إدراك الواقع**: التي توضح كيف تقرأ الواقع وتحلله وتخرج بفكرة واضحة ناضجة متكاملة عنه، وبواعث العمل والغضب والسكون والحركة فيه، وما مدى تشابك العلاقات والقوى والطبقات الاجتماعية فيه؟ وكيف تقرأ الواقع من حيث هو واقع.. لا من حيث الخيال ولا بحسب الأمنية؟

- ✓ **العلوم الاجتماعية:** التي توضح على أي أساس تقوم هوية المجتمع الحالي وتركيبته البشرية وخصائصها ومدى متانة بناؤه؟ وما هي أمراضه، وعوامل صحته وانهياره؟ ما هي بواعثه، وأفكاره، واهتماماته، وأشواقه، وآلامه، وطموحاته؟ ما هي صفات المجتمع عندما يدور في فلك الأفكار، وعندما يدور في فلك الأشخاص، وعندما يدور في فلك الأشياء؟... إلخ.

- **علوم الاستبداد:** كيف ينشأ؟ أثره في النفس والمجتمع؟ كيف تتعافى منه النفس، وكيف تحرر منه الجماعة؟ دور المجتمع المستعبد والمستبد به في إعاقة عملية التحرر والإنقاذ؟ الطبقات الفاسدة والشاذة التي تنشأ في المجتمع نتيجة الاستبداد؟ طبقات المجتمع الواقع تحت الاستبداد؟ الإفراط والتفريط في شخصية الفرد المستبد به؟ الأمراض النفسية والاجتماعية الناشئة عن الاستبداد؟ المقارنة التاريخية في الحضارة الإسلامية بمراحلها (الراشدة – العضوض – الجبرية). المقارنة الحالية والمستقبلية بين واقع المجتمعات الإسلامية المستبد بها، والغربية مع مراعاة الهوية الحضارية لكل منهما. نقطة البداية في مجتمع الاستبداد؟

- **علوم السنن الربانية:** وهي سنن الله في عالم الشهادة، كسنة الاستخلاف، وسنة الاستضعاف، وسنن النصر، وسنن التمكين... الخ.

- **علوم قيام الدول وسقوطها:** وهي التي توضح مكامن القوة في كل دولة، وكيف تقوم الدول، وكيف تستمر، وكيف تنهار، ومتى تنهار، وما يترتب على ذلك في الجغرافيا السياسية والتركيبة الدولية؟ كيف تتم عملية "إفشال الدول" وتدمير اقتصادها؟

- **العلوم المؤسسية:** وهي التي توضح كيف تقوم المؤسسات، وتؤثر في بيئة معينة وفق نشاطها، وحركتها، ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات.. سواء مؤسسات الدولة أو مؤسسات تتبع هيئات وأفراد.

- **العلوم النفسية:** التي تحلل الإنسان وتركيبه النفسي والفكري والعاطفي.. وفي أي مراحل الإنسانية يقف؟ وكيف تؤثر فيه النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكيف تترك انطباعها عليه؟ وما الفرق بين العلوم النفسية التي تقوم على أساس أن الإنسان مخلوق متفرد، وخليفة في الأرض ذو هدف ورسالة، وبين التي تقوم على أساس أن الإنسان حيوان من قسم الثدييات من الناحية البيولوجية، وحيوان ناطق أو مفكر من الناحية الفلسفية، وتصور كل منهما عن الله والكون والحياة والإنسان ؟

- **العلوم الفكرية:** التي تُوضح المناهج الفكرية المعاصرة والسابقة، وما بواعثها، وكيف تؤثر في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؟ كيف يتم الغزو الفكري، وكيف تتم عملية غسيل العقول؟ كيف تنشأ الفجوة بين الفكرة وكيفية تطبيقها؟ وكيف يمكن أن يتحول حامل الفكرة إلى عقبة في طريق تطبيقها؟

- **العلوم الحضارية:** التي تضع طريق وترسم منهج واستراتيجية لإعادة بناء الحضارة الربانية التي انهارت في الأندلس، والتي تستعيد أهداف الرسالة الإسلامية العالمية. والفروق الحضارية بيننا وبين الحضارات القائمة، والمقارنة التاريخية بين الحضارات المختلفة.

- **العلوم الاقتصادية:** التي تُوضح المدارس الاقتصادية على مستوى العالم، ومدى تأثيرها وخطورتها على اقتصاد بلادنا الإسلامية، وكيف يدور المال دورته في هذا العالم؟ وما هو المخرج لنا للخروج من الهيمنة والتبعية والاستذلال للدول الكبرى؟ وكيف يتحقق النظام الاقتصادي الإسلامي في هذه البيئة العالمية؟

- **العلوم الاستغرابية:** وهي التي تدرس الغرب، وحضارته، ونشأته الحديثة، وتعرف أفكاره، ومبادئه، وحروبه، واستعماره، وما يفكر فيه، وما هو المستقبل الذي يريد؟

- **العلوم الاستشراقية:** وهي العلوم التي يرانا الغرب من خلالها، كيف يرانا؟ كيف يهددنا؟ كيف يحاول التحكم فينا؟ كيف تؤثر تلك العلوم في حياتنا؟... إلخ.

- **العلوم الإعلامية وفنون التأثير:** وهي التي توضح كيفية تسويق الأفكار، ومدى تأثير الإعلام في صياغة العقل والفكر والشعور.

- **العلوم السامرية**: والسامري: هو الذي صنع لبني إسرائيل – بعد أن نجاهم الله من بطش فرعون بمعجزة عبور البحر – صنم "عجل" ليعبدوه وفيهم اثنين من أنبياء الله ! وهذه العلوم متخصصة في كيف تنشأ الأصنام؟ وليست هي أصنام الحجر والخشب فحسب، فلربما أصبحت هذه طريقة مكشوفة في معرفة الصنم، ولكن صارت هناك أصنام فكرية ونفسية وواقعية كثيرة.. والعناية بدراستها شيء مهم للغاية، فيكاد يكون لكل فكرة صحيحة عشرات الأصنام في طريقها، وعشرات من السامريين الذين يحوّلون الناس عن الحق والصواب.

- **العلوم الاستراتيجية والتكتيكية والإدارية:** وهي كلها علوم وظيفية توضح كيف تحول الفكرة إلى واقع أو منتج حضاري، ثم كيف تُديره وتحافظ عليه وتطوره، وتعيد انتاجه وتجعله فكرة عالمية.

- **العلوم المستقبلية:** وهي التي تستشرف المستقبل، وتضع له رؤية وغاية، وتستبق الأحداث، وتصنع الفعل، وتصنع رد الفعل.. الخ.

- ✓ **العلوم التاريخية:** وهي العلوم التي تدرس قيام الدولة الإسلامية أول مرة، ومراحل التاريخ الإسلامي وتاريخ الحضارات، وعوامل وسنن قيامها وانهيارها.. الخ.

وكل هذه العلوم وما يستجد منها، ما هي إلا **أدوات** الفقيه والشيخ والعالِم والداعية الجديدة التي يستخدمها في رؤية الواقع للوصول إلى كيفية تحكيم الشريعة الإسلامية: التي هي: **كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية**، ويقوم بمقاصدها ويحقق أهدافها في هذا الواقع.

وغياب هذه العلوم عن الفقيه يحوله إلى جاهل أو بمصطلح العامة "درويش" يتلاعب به أصحاب النفوذ والسلطان ويستخدمونه لخدمة أوضاعهم وأهدافهم.. وهذه أشد جريمة وأخطرها في قضية الشريعة، أخطر من كل الغزو الاستعماري.. لأنه في حس الناس يظل الشيخ هو الذي يقول كلمة الله وكلمة رسوله ﷺ. ولأن الشريعة قضية عقيدة، فإن أي عبث بها يَمس معتقد المرء وإيمانه في الصميم. فلا أدنى تهاون – من أي نوع – فيها.

ويجدر بي هنا أن أشير إلى قضية يعتصر قلبي لها، وهي قضية الجهاد والمقاومة.. أغلب حركات الجهاد والمقاومة التي انطلقت لتحارب المستعمر، واتباعه.. تنطلق بكل قوة وعزم وبأس شديد تفتك بالعدو – رغم ضعف الإمكانيات والعتاد والخبرات – وتقدم بطولات رائعة، وعزيمة قوية جدًا، وغالبًا ما تنتصر حركات الجهاد والمقاومة، وتقدم التضحيات والبطولات بلا حساب.. تنتصر في المجال "العسكري" وإلحاق الهزيمة بالعدو، ثم تنهزم هزيمة نكراء – للأسف– في المجال "السياسي والاجتماعي والإعلامي".. فبعد تحقيق النصر العسكري الباسل والرائع، يأتي أحد من خلفهم ليسرق هذا النصر على طبق من ذهب، ويحولهم إلى "أهل العنف والإرهاب" ويذهب بهم إلى غياهب التاريخ أو غياهب السجون! "الجهاد السياسي والاجتماعي" ساقط الذهن من حساب حركات المقاومة، ولا تجيد استخدام تلك "القوة الناعمة" والتي هي المرحلة التالية من – "القوة الغاشمة" – الجهاد العسكري. فحتمًا سوف تنتهي "المرحلة العسكرية" لتنتقل إلى "المرحلة السياسية" والجهل بها وبعلومها يُضيع عليها النصر، والتضحيات، والدولة.

ولم أقصد بذكر تلك العلوم، أن يفقهها جميعًا المرء جملة وتفصيلاً – إن فعل فهو خير عظيم – ولكن ما أقصده هو أهمية كل جانب من هذه العلوم ودوره في عملية الفقه والفهم والتطبيق، وكلٌ يُطلب في علمه بصورة متناسقة في حركة ربانية تدور مع الكتاب حيث دار، لا مع الشيخ أو الحزب أو الجماعة.. وتنطلق

تدعو الناس إلى قيام دين الله في الأرض، بإقامة شرعه.. وفق فقه إسلامي حقيقي يفقه حقيقة الدين والناس والواقع والحياة.

والفقيه هو كالطبيب العام الذي يفهم كيف يعمل جسم الإنسان، فيدرس الطبيب الجهاز (العصبي- التنفسي- الهضمي- العظمي - التناسلي- الغددي - العضلي - المناعي... إلخ) ثم يدرس حالات الصحة والمرض والعلاج، وكيف يكون العلاج مناسب للمريض، وكيف يختلف من مريض لآخر، وكيف يؤثر في المريض... إلخ. فلا يتعامل مع جسم الإنسان دون أن يفقه كل هذه الأجهزة وكيف تعمل وكيف تتناسق فيما بينها؟ وفي المسائل المتخصصة يُحوّل الطبيب العام إلى أهل الاختصاص في كل جهاز، لأنهم أكثر علمًا.

وهذا هو نفس عمل الفقيه، يجب أن يفهم جسم المجتمع، والواقع الذي فيه.. ويفهم العلوم – التي ذكرنا جانبًا منها – بشكل عام، حتى يكون كل علم له اعتبار عند الرؤية والفهم.. فإذا أراد مسألة متخصصة، أحالها إلى أهل الاختصاص.

وبعد أن استسلم الجميع ابتداء لشرع الله وحكمه واستعلنوا عبوديتهم الواحدة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتوحيدهم لله في التشريع والتحليل والتحريم.. ورد الأمر كله لله، ثم جاء الفقهاء الربانيين أصحاب العلوم التي ذكرناها.. كانت (**الخطوة الثالثة**): وهي أسهل خطوة: فالناس لشرع الله مستسلمون أو مسلمون.. والفقهاء يملكون أدوات التطبيق والفهم الكافي وفق مستجدات عصرهم.. فلم يبقى إلا التنفيذ، وغاية أي مقصد في الشريعة هو: إقامة الحق والعدل الرباني وفق منهج الله، وتحقيق العدالة لكل الناس.

فينظر الفقهاء في واقعهم.. من أين يبدؤون؟

هل من **الجانب السياسي**: وضمانات عدم الاستبداد بالحكم ووضع آليات لمراقبة الحاكم ومحاسبته، ومشاركة الأمة صاحبة السلطة؟

هل من **الجانب الاقتصادي**: وضمانات عدم الاستئثار بالمال في يد طبقة معينة لتحقيق العدالة الاجتماعية الربانية؟

هل من **جانب الفساد**: وضمانات استرداد كل حقوق الأمة وثرواتها، وسد كل منافذ الفساد بأنواعه؟

هل من **الجانب الاجتماعي**: وإعادة الهوية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية له؟

هل من **الجانب التربوي**: وإعادة مناهج التربية الصحيحة القائمة على أُسس سليمة؟

هل من **الجانب الإنساني**: بإعادة الإنسان إلى إنسانيته ودوره ورسالته وخلافته؟

هل من **الجانب الأخلاقي**: بالاهتمام بشأن الأخلاق ورعايتها؟

هل من **الجانب الدولي**: بمحاولة الخروج من الهيمنة والتبعية للدول الاستعمارية والاكتفاء الذاتي؟

هل من **الجانب الإعلامي**: بوقف العبث بعقول الناس ومشاعرهم وسلوكهم؟

هل من **الجانب الفني**: بوقف السيل الجارف من التفاهات التي تفسد الذوق والأخلاق والعقول، وبناء فن نظيف ذو رسالة وهدف؟

هل من **الجانب الحياتي**: بالعناية بمشاكل الفرد اليومية؟

هل من **الجانب الدستوري**: بصياغة واضحة لا مراء فيها ولا تلعثم ولا تردد.. "السيادة لشرع الله وحده، والسلطة للأمة. وشرع الله: هو كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية"؟ ويبطل كل قانون يخالف تلك الشريعة. والشريعة فوق الدستور، وفوق الاستفتاء عليها. والشريعة هي مصدر الدستور وكل تشريعاته.

هل من **الجانب الفقهي**: بوضع كيفيات التطبيق ووسائله؟

الحقيقة البداية من كل الجوانب، في حركة ثورية تستهدف تصحيح كل الأوضاع وإعادة الحياة للمجتمع الإسلامي، واسترداد هويته، وبناء دولته، وتنظيف حياته من كل عبث مضى، حركة تبدأ في النفس: باعتقادها أنها **أصلاً تقوم بالعبودية لله – قبل أي شيء – بإقامة شرعه وحكمه** قبل أن تقوم ببناء حياة نظيفة وكريمة وحضارية. وحركة تقوم في المجتمع: عندما يهب كله يقيم إسلامه ويحقق معنى شهادة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ثم تأتي **(الخطوة الرابعة) والأخيرة**: الحدود.

فبعد أن استسلم الناس لشرع الله ابتداء، وكان الفقهاء الربانيين يسعون لتحكيم شرعه.. وإعلاء كلمته، وشرعوا بالفعل في تغيير واقعهم وحياتهم، وانحلت المشكلات التي كانت قائمة بسبب عدم قيام الناس بشرع الله.. وشاعت مظاهر الحياة الربانية التي أرادها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للإنسان.. جاءت الحدود لتحمي هذا كله..

ومن اسمها إنها "حدود".. حدود الحياة الإسلامية التي إذا تعداها أحد وقع عليه الحد والعقوبة، وهي لحماية مجتمع قائم بالفعل وأنشأ حياة إسلامية فتقوم "حدود" تحمي تلك الحياة.

فإذا حدث خلل ما في تلك الحياة الربانية القائمة على شرع الله.. صارت هناك شبهة تمنع إقامة تلك الحدود، وفي هذا المعنى جاء الحديث الشريف: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "**ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ**" [مسند أبي حنيفة/ 312] أي مع وجود الشبهة لا يقوم الحد، وهذا تمامًا ما فقهه عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أوقف حد السرقة في عام الرمادة (عام الجوع).. لأن الجوع صار شبة تدرأ الحد. فإذا زالت الشبهة عاد الحد إلى مكانه الطبيعي؛ يحمي حياة المجتمع، ونظام الدولة.

لنأخذ "حد الزنا" مثالاً:

"إن الإسلام ليكره أن تشيع الفاحشة في المجتمع، لما له من أثر في تحطيم أسس المجتمع، إن الإسلام يبدأ بأسباب **الوقاية** فيأمر بالحشمة ويحرم التبرج، ويتحرج من الاختلاط، ويحاول تيسر الإحصان بالزواج عند الاستطاعة، حتى ليدعو المسلمين إلى مساعدة من يبتغي الزواج بالمال. فإذا تعتذر فهو يدعو إلى الصوم تلطيفًا لفورة الجسد. وهو يحبب الرياضة والفروسية.. وما من شك أن التربية الإسلامية المعتدلة المتناسقة، وتوقي مواضع الإثارة وأسباب الفتنة بتحريم التبرج، والتطري في الحديث: والتحرج من الاختلاط في غير ضرورة قاهرة، مع أخذ الجسم بالرياضة وبالصوم، والتبكير بالزواج بمجرد الاستطاعة.. ما من شك أن في هذه كلها عوامل إيجابية في ضبط النفس والجسد إلى حين.

والجاهلون هنا والشاردون هناك يقولون: إن هذا الضبط لا بد موّد إلى "العقد النفسية" ذلك أنهم لا يتخيلون صورة للمجتمع إلا تلك الصورة القذرة، صورة الشبان الهائجين محتكين بالفتيات الفائرات. صورة الأفخاذ والنهود عارية بارزة. صورة النظرات جاهرة في العيون. تدفعها كلها وتؤجهها مناظر الأفلام الداعرة، وصور الصحف المجرمة، وأصوات المخنثين والمخنثات في الأعلام وكل أجهزة التوجيه، ومن وراء ذلك كله الترف والفراغ في جانب، والعوز والانحلال في جانب. ومن حول ذلك كله تجار الأعراض ومخانيث القوادين!

.. إن مجتمعًا هذه صورته ليتعذر فيه الضبط، لأن عوامل الفتنة كلها فيها هائجة صاخبة جامحة طليقة. وإن مجتمعًا هذه صورته ليعز فيه على النفوس القرار، ويعز فيه على البيوت السلام.. ولكن المجتمع

الإسلامي شيء مغاير لهذا كله من الأساس. إنه مجتمع يبدأ بأسباب **الوقاية** فيحارب العوز ويسده، ويحارب الاختلاط والتبرّج، ويحارب التخنث والتأنث، وتشتغل أجهزة التوجيه والإعلام فيه بتوجيه الناس إلى الخير والفضيلة، والنظافة والعفة، وتقوى الله ومراقبته، وتعبيدهم كذلك لله وحده ! وهو بعد ذلك كله يملأ فراغ الحياة بهموم كبار في سبيل الله وفي سبيل الإنسانية، ويملأ فراغ الوقت بالعمل، فلا يوجد فيه أولئك الفارغون والفارغات الذين لا يجدون ما يملئون به حياتهم، ويصرفون فيه طاقتهم، إلا بالشهوات والنزوات، وإلا الترف الفاجر الداعر.

إن الإسلام يأخذ الأمر من **أطرافه جميعًا**، ويأخذ على أسباب الفتنة الطريق منذ الخطوة الأولى، ثم يكلف الناس ما في طوقهم حينذاك، بدون مشقة وبدون إعنات.

فإذا وقعت الفاحشة بعد ذلك، ففي سبيل سلام البيت وفي سبيل تماسك المجتمع يأخذ الأمر بعقوبات رادعة يوقعها على الفاحشين والفاحشات: الجلد لغير المحصن ولغير المحصنة، والرجم للمحصن والمحصنة.

وتسمع من الجاهلين هنا ومن الشاردين هناك أنها عقوبة قاسية. أما تحطيم البيوت، وقلق الضمائر، وتدليس الأنساب فما هي بقاسية.

والإسلام مع ذلك لا يقضي بهذه العقوبة الرادعة إلا في حالات التأكد المطلق الذي لا شبهة فيه، والتي يراها شهود أربعة يتأكدون جميعًا وقوع الفعل بلا شك في نفس واحد منهم، ولا مطعن في عدالته. وإلا فلا رجم ولا جلد.

وإذا عرفنا أن التجسس وتسور الأبواب واقتحام البيوت الخاصة ممنوع، فإن ضبط هذه الجريمة ورؤية الشهود لها على الوضع الذي يشترطه الإسلام لإقامة الحد، لا يكون غالبًا إلا في حالات التهتك الفاضحة، والتبجح في الأماكن العامة. وتلك إشاعة للفحش واستهتار بالكرامة والعرض، لا توصف معهما العقوبة بالقسوة عند ذوي الفطرة المستقيمة والطباع السليمة.

وليس هذا فحسب، فمنعًا لشيوع الاتهام بالحق وبالباطل يعاقب الإسلام بالجلد وبالحرمان من الثقة وبإسقاط الشهادة كل من يرمي امرأة محصنة أو رجلاً محصنًا بالتهمة ولا يأتي بشهود أربعة، وذلك كي لا يشيع الاتهام ويشيع القلق في النفوس والبيوت، ويحل مكانها التشكك والخوف". [السلام العالمي والإسلام - سيد قطب]

ولو وضعنا "حد الزنا" مثالاً في الخطوات الأربعة التي ذكرتها تكون على النحو التالي:

الخطوة الأولى: إننا مستسلمون لشرع الله ابتداء، وإننا لا نرضى إلا حكمه، وإننا لا نقبل إلا التحاكم إلى شرعه وحده دون غيره، ودون اشراك شرائع أخرى معه، ويسقط كل قانون يناقض شريعته.. وإن الزنا حرام بنص كتاب الله. وإن من استحل الزنا ولم يعتبره حرامًا فهو كافر خارج من الإسلام. ومن شرّع للناس قانونًا عامًا لا يُقر حرمة الزنا وعقوبته كما هي مذكورة في كتاب الله، فهو كافر خارج من الإسلام. ومن رضي بهذا القانون الذي يستحل ما حرّم الله – إلا أن يكون مُكرهًا وقلبه مطمئن بالإيمان – فهو كافر خارج من الإسلام. بينما إذا اعتبر المرء حرمة الزنا إيمانًا بما قاله الله في كتابه، ولكن وقع في ذنب الزنا – ولو مرات – فهو مسلم.. لأن **العقيدة** موضوعها: الإيمان والكفر، و**الذنب** موضوعه: التوبة والمغفرة.

بينما إذا اعتبر المرء عدم حرمة الزنا، واعتبره حرية شخصية، ولو هو على المستوى الشخصي يستقذر فعل الزنا ولا يأتيه؛ فهو كافر خارج من الإسلام، لأنه استحل ما حرم الله.

الخطوة الثانية: الفقه والعلم الخاص بالواقع المعاصر بكل مشكلاته وتحدياته وعقباته، وبدأ الفقهاء في الدراسة المتخصصة الواعية لكل مكونات المجتمع وظروفه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية، حتى تكونت رؤية متكاملة عن الواقع، وفي حالة "حد الزنا" هنا، ستكون المعرفة متخصصة أكثر بظروف المجتمع الاجتماعية والاقتصادية: [عدد الذكور والإناث – نسبة العنوسة– نسب الطلاق –دخل الفرد – سن الزواج – سنوات التعليم – تكاليف الزواج – الظروف الاقتصادية – التقاليد الاجتماعية – عقبات الزواج – الوضع الأخلاقي للمجتمع – المادة الإعلامية التي يتلقها الفرد – عوامل الإثارة الجنسية في المجتمع سواء في زي المرأة أو الوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية – مدى العوز والانحلال – مدى الترف والفجور – مستوى العدالة الاجتماعية... إلخ.] وغيرها من المعرفة التي تضع الفقيه على صورة دقيقة تفصيلية لكل مكونات المجتمع والظروف المحيطة به، وهي معرفة ليست سطحية عامة، بل معرفة متخصصة تُشّرح المجتمع تشريحًا دقيقًا.

الخطوة الثالثة: وهي خطوة البناء وسد الذرائع وغلق أبواب المفاسد.. وهي خطوة تحقيق الحق والعدل الرباني، فتقوم الدولة بدورها في حماية المجتمع وصيانته، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتيسير سبل الزواج، وتيسير سبل العفاف والإحصان، وتتبنى المشروعات التي تيسر على الجميع أمر الزواج، وتحبب الأخلاق للناس، وتراقب حالة المجتمع ومستواه الأخلاقي والسلوكي وتعمل على تهذيبه بكل الوسائل، وتدفع

مؤسسات الدولة بأكملها لبناء حياة أخلاقية كريمة، ثم تغلق أبواب الشر من العبث والإثارة والتلاعب بمشاعر الناس، وغلق كل أبواب الفتنة.

وشرع الله: يعمل في وحدة كاملة متناسقة، ولا يعمل أجزاء وتفاريق.. فتتحقق السمات العامة للشريعة في كل جوانب الحياة.. ويتحقق الحق والعدل الرباني. كما يأخذ النفس الإنسانية من كل أقطارها، ويدخل عليها من كل جوانبها.. يُحبب إليها الخير والأخلاق، ويُكره إليها الفسوق والعصيان، ويفتح لها طريق التوبة، ويعدها بالمغفرة. ويأخذها من خط الرجاء، فيعدها بالخير في الدنيا والفوز في الآخرة. ويأخذها من خط الخوف، فيتوعدها بالحد والعقوبة في الدنيا، والحساب في الآخرة. فيتحقق التوازن والسلام في النفس والأسرة والمجتمع. ثم تأتي الخطوة الأخيرة..

الخطوة الرابعة والأخيرة: إقامة الحد، وجاء الحد ليحمي سلام البيت والمجتمع، وتطبقه الدولة من خلال محاكمها ومؤسساتها.. على شروطه المذكورة في الكتاب والسنة.

وفي كل مراحل الخطوات: هو إقامة للشريعة وتحقيق للعبودية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالحياة النظيفة والربانية تقوم أولاً قبل الحدود.. وهنا يفهم الناس أن الأمر ليس مجرد إقامة حد على الناس، دون إقامة حياة الإحصان والعفاف لهم أولاً.

نقطة أخرى: قد يرى الفقهاء مثلاً أن أول خطوة عملية في الواقع لإقامة حد الزنا، هي تيسير سبل الزواج، وقطع دابر الفتن وإفساد الأخلاق، فيقول قائل: إذن أنت مثلاً تنادي بتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا ما نطلب به منذ زمن.. فما الجديد الذي تقدّمه، ولِمَ كل هذه المقدمات الطويلة؟

أقول: إن الأمر مختلف جملة وتفصيلاً، فالبدايات والنهايات عندنا مختلفة، حتى وإن التقينا في بعض خطوات الطريق، لأن الأمر في أوله وأوسطه ونهايته عبودية خالصة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتحكيماً لشرعه وإقامة لأمره، وإذا كانت العدالة الاجتماعية – مثلاً – خطوة أو مرحلة على الطريق، فإننا نحققها من منطلق إقامة الشرع والامتثال لأمر الله.. ففرق كبير بين أن تحقق ما تراه مناسبًا لمجتمعك انطلاقًا من أهوائك ورؤيتك الخاصة، وفرق أن يكون الأمر كله عبودية خالصة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كل تفصيلاتها وجزئياتها:

عبودية: ونحن نستعلن العقيدة والشرع واضحًا لا مراء فيه. كحق الله على العبيد.

عبودية: ونحن ندرس الواقع ونجد السبيل للحياة الربانية التي يريدها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لعباده.

عبودية: ونحن ندفع المفاسد، ونسد الذرائع، ونقطع الطريق على الفتن.

عبودية: ونحن نُسهل على الناس الزواج.

عبودية: ونحن نحمي الأخلاق ونُقوّم السلوك.

عبودية: ونحن نتزوج ونقيم أسرة، وحياة نظيفة.

عبودية: ونحن نقيم الحد، وفق ما أمر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ..

وكلها عبودية لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بلا شريك. وهذه هي حياة المسلم:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأنعام:162].

***